حوار العدد:

حوار مع فضيلة الأستاذ الدكتور عبد العلي الودغيري
(جامعة محمد الخامس، الرباط)

في موضوع:
الواقع اللغوي بالأقطار العربية
وآفاق بناء المعجم التاريخي للغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم:

نبذة عن سيرة الأستاذ الدكتور "عبد العلي الودغيري" ونتاجاته في مجالات البحث العلمي:

الاسم الكامل: عبد العلي الودغيري

المؤهل العلمي :دكتوراه الدولة في العلوم اللغوية (1986)

- دبلوم الدراسات العليا في العلوم اللغوية (ماجيستر)(1976) .

- تابع دراساته العليا في كل من جامعة محمد بن عبد الله بفاس وجامعة الصّوربون بباريس وجامعة محمد الخامس بالرباط.

- يتقن اللغتين العربية والفرنسية.

المهنة: أستاذ العلوم اللغوية بجامعتي محمد بن عبد الله بفاس ومحمد الخامس بالرباط سابقا .

الميلاد : 1944م ، بناحية فاس (المغرب)

الجنسية : مغربية .

وظائف ومهام :

- كاتب وباحث أكاديمي وشاعر.

- رئيس الجامعة الإسلامية بالنيجر التابعة لمنظمة التعاون الإسلامي ما بين 1994 و2005.

- أستاذ التعليم العالي للعلوم اللغوية والمعجميّات بجامعتي محمد بن عبد الله (فاس) ومحمد الخامس (الرباط) سابقا.

ـ أمين عام اتحاد اللسانيّين المغاربة (سابقاً) وعضو مؤسس للاتحاد.
ـ مستشار مكلّف بالدراسات بوزارة الثقافة (سابقًا)
ـ عضو المكتب المركزي التنفيذي لاتحاد كتاب المغرب (سابقاً)
ـ عضو جمعية المعجمية العربية بتونس.
ـ عضو مؤسس للجمعية المغربية لحماية اللغة العربية (المغرب)
ـ عضو الائتلاف الوطني من أجل اللغة العربية (المغرب)
ـ عضو المجلس العلمي لمعجم اللغة العربية التاريخي(الدوحة).
ـ عضو الهيئة الاستشارية والعلمية لعدد من المجلات العلمية المحكّمة بالمغرب والعالم العربي، منها: مجلة الدراسات اللغوية الصادرة عن مركز الملك الفيصل بالرياض، ومجلة: فقه اللسان الصادرة عن الرابطة المحمدية لعلماء المغرب، والمجلة المغربية لدراسات الترجمة الصادرة عن مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية بالمغرب (المغرب)، ومجلة اللسانيات وتحليل الخطاب (المغرب)، ومجلة البلاغة والنقد الأدبي (الرباط)،المجلة المغاربية للدراسات الإنسانية والاجتماعية(المغرب).
ـ مدير مؤسّس لمجلة :الموقف (ثقافية أدبية مغربية). توقّفت عن الصدور منذ سنة1994.
ـ مدير مؤسس لمجلة: حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر.
ـ مدير مؤسسة علال الفاسي للثقافة والبحث سابقاً(2006 ـ 2008م)
ـ عضو مجلس أمناء الجامعة الإسلامية بالنيجر.
ـ عضو في عدد من الجمعيات الثقافية والعلمية ومنظمات المجتمع المدني.
ـ انتدب خبيراً خارجياً متعاوناً مع منظمة الإيسيسكو عدة مرات.
ـ انتُدِب خبيراً خارجياً متعاوناً مع أكاديمية المملكة المغربية عدة مرات.
ـ حاصل على جائزة المغرب للكتاب ثلاث مرات: 1977 ـ 1989 ـ 2014.
ـ حاصل على جائزة الألكسو ـ الشارقة، في الدراسات المعجمية (2018).
ـ حاصل على جائزة الملك الفيصل العالمية في اللغة عام 2019م.
ـ شارك في العشرات من الندوات والمؤتمرات العلمية بالمغرب ومختلف البلاد العربية والأوروبية (أكثر من 60 مؤتمراً وندوة علمية).
ـ أشرف على إنجاز عدد من أطاريح الدكتوراه ورسائل الماجستير بمختلف الجامعات المغربية.

النشر:

ـ نشر عشرات المقالات الأدبية والثقافية والاجتماعية والنصوص الشعرية في عدد من الصحف والملاحق الثقافية والمجلات المغربية والعربية مثل: جريدة العلَم، جريدة أخبار اليوم، جريدة المساء، جريدة السبيل، جريدة التجديد، مجلة: دعوة الحق، مجلة المِشكاة، مجلة آفاق (اتحاد كتاب المغرب)، آفاق عربية (العراق) ، أقلام (العراق)، الغدير(عُمان) ، فكر (تونس)،العمق المغربي، هوية بريس ...
ـ نشر عشرات البحوث والدراسات اللغوية المتخصصة في المجلات والدوريات المحكّمة الصادرة بالمغرب والعالم العربي مثل: (المناهل ـ البحث العلمي ـ مجلة كلية الآداب بالرباط ، مجلة كلية الآداب بفاس، مجلة كلية الآداب بتطوان، مجلة كلية الآداب بالمحمدية، مجلة كلية اللغة العربية بمراكش، مجلة المناهل ـ اللسان العربي ـ الموقف ـ

البحث العلمي ـ التاريخ العربي ـ حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر ـ الإسلام اليوم (مجلة الإيسيسكو) ـ عالم الفكر (الكويت) ـمجلة المعجمية بتونس مجلة دراسات أندلسية (تونس)ـ مجلة اللغة العربية الصادرة عن المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر ـ مجلة ممارسات لغوية بالجزائر،مجلة اللسانيات وتحليل الخطاب (المغرب) ـ دراسات مصطلحية (مبدع) ـ عالم التربية ـ فقه اللسان).

ـ كتُبٍ عن صاحب السيرة في عدد من الأنطُلوجيات والبيبلوغرافيات من بينها :

ـ معجم البابطين للشعراء العرب، الكويت 1995م.

ـ دليل الشعراء المغاربة، عبد الواحد معروفي، مراكش 1991م

ـ الأدب المغربي الحديث بيبلوغرافيا شاملة، عبد الرحمان طنكول، البيضاء.1984.

ـ بيبلوغرافية الشعر المغربي المعاصر (1923 ـ 2016) ، محمد يحي قاسمي .

ـ الشعر المغربي المعاصر: قراءة في التراكم، محمد قاسمي،

ـ الأدباء المغاربة المعاصرون، عبد السلام التازي، منشورات الجامعة، الدار البيضاء 1983م.

ـ شعراء النادي الجراري، الشاعر والنص، محمد احميدة، الرباط 2015م.

ـ بيبلوغرافيا النص الشعري بالمجلات المغربية، سعيد بنفرحي 1999م.

ـ معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، تأليف: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية ـ بيروت 2003م ، الجزء الثالث.

ـ موسوعة ويكيبيديا الحرة، النسخة العربية.

- Dictionnaire des écrivains marocains, par : Salim Jay , EDDIF, Paris 2005

- Le discours du chameau,par:Taher Ben Jelloun, Maspero, 1974 -
Literaturay y pensamientomarroquiescontomporaneos, Madrid 1981

أهم الأعمال العلمية والأدبية الصادرة:

أولاً: في البحث اللغوي :

أ ـ كتب :

ـ لغتنا أداة تنميتنا، مطبوعات جائزة الملك فيصل، الرياض 2019

ـ العربياتُ المُغتَربات: قاموس تأثيلي وتاريخي للألفاظ الفرنسية ذات الأصل العربي أو المعرّب (مجلدان في 1232 صفحة)، دار كنوز المعرفة ـ عمّان، الأردن، 2017 ـ 2018م.

ـ لغة الأمة ولغة الأم:عن واقع اللغة العربية في بيئتها الاجتماعية والثقافية، دار الكتب العلمية بيروت 2014م .

ـ اللغة العربية في مراحل الضعف والتبعية، الدار العربية للعلوم ـ ناشرون،بيروت 2013م.

ـ اللغة العربية والثقافة الإسلامية بالغرب الإفريقي ـ كلية الآداب بالرباط 2011.

ـ المعجم في المغرب العربي إلى نهاية القرن الرابع عشر الهجري ـ دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2008.

ـ دراسات معجمية نحو قاموس عربي تاريخي وقضايا أخرى، 2001م

ـ اللغة والدين والهوية، الدار البيضاء، ط1/2000 ، ط2/2017م.

ـ منهج المعجمية (ترجمة من الفرنسية) ـ كلية الآداب الرباط 1993.
ـ الفرنكفونية والسياسة اللغوية والتعليمية بالمغرب، منشورات (العلَم) الرباط1992م.
ـ قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي ـ 1989م.
ـ مفردات ابن الخطيب: قاموس للألفاظ الحضارية من القرن الثامن الهجري (تحقيق) (1988م).
ـ أبو علي القالي وأثره في الدراسات اللغوية والأدبية بالأندلس، منشورات وزارة الأوقاف، الرباط 1983م.
ـ المعجم العربي بالأندلس، دار المعارف بالرباط 1984
ب : كتب جماعية شارك في تأليفها:
التعريب: الواقع والطموح، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،معهد الملك عبد الله للترجمة والتعريب، الرياض 2018.
•استدراك الغلط الواقع في كتاب العين للزبيدي (تحقيق مشترك)، المجمع العلمي بدمشق 2003م.
•وقائع ندوة: المعجم العربي التاريخي: قضاياه ووسائل إنجازه، منشورات جمعية المعجمية العربية بتونس، 1989م (الفصاحة في القاموس العربي التاريخي).
•قضايا استعمال اللغة العربية بالمغرب، مطبوعات: أكاديمية المملكة المغربية، 1993م(الرصيد اللغوي الأساسي).
•مستقبل الهوية المغربية أمام التحديات المعاصرة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1997م (الهوية المغربية والمشكل اللغوي).
• الهوية المغربية في ضوء محدّداتها الدستورية، مطبوعات: أكاديمية المملكة المغربية، 2012م (التعدّدية اللسانية والمعالجة الدستورية للمشكل اللغوي بالمغرب).
• اللغة العربية في الخطاب التشريعي والإداري والإعلامي، مطبوعات: أكاديمية المملكة المغربية، 2010م (لغة الخطاب الإعلامي بين الفصحى والعامّية)
•اللغة العربية إلى أين؟ منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) 2005ـ الرباط (اللغة العربية في غرب أفريقيا جنوب الصحراء).
•أعمال ندوة: المعجم التاريخي للغة العربية: قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع(القاهرة) ومؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) (فاس)، 2011م.
•أهمية التخطيط اللغوي: اللغات ووظائفُها، مطبوعات: المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2012م (دور اللغة الوطنية في التنمية وتحقيق الأمن الثقافي).
•اللغة العربية ومواكبة العصر (أعمال ندوة دولية)، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية 2012م.
•الدارجة المغربية والسياسة اللغوية بالمغرب، منشورات: المركز المغربي للدراسات والأبحاث المعاصرة، الرباط 2013م (الدعوة إلى الدارجة بالمغرب الجذور والامتدادات).
•الهوية الثقافية للمغرب، سلسلة كتاب العلَم، الرباط 1987م (اللغة والهوية عند علال الفاسي).
•تراث الأندلس: تكشيف وتقويم،1993م (المؤلفون الأندلسيون في علوم اللغة العربية) منشورات مركز الملك عبد العزيز، الدار البيضاء.

•من روائع النصوص المغربية، وزارة الثقافة، الرباط 2013 (العربية والعولمة بين الأحادية والتعددية).
•المعجمية العربية: قضايا وآفاق، ج1 / 2014، كنوز المعرفة، عَمّان.
•استعمال اللغة العربية بين الواقع والمستقبل، الرباط 2015م.
•المعجم التاريخي للغة العربي التاريخي: رُؤى وملامح، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، الرياض 2016م (التأريخ المعجمي والتطور اللغوي).
•نحو معجم تاريخي للغة العربية، بيروت 2014م.
•أعمال ملتقيات فرع فاس للجمعية المغربية لحماية اللغة العربية، منشورات كلية الآداب بفاس 2013م.
• Actas delcongresointernacional sobre :Interferenciaslingüisticas arabo-romances y paralelos extra-ibero, Saragoza 1994.

ج ـ بحوث لغوية نشرت بمجلات مغربية وعربية:

• نظرات في " معجم اللغة العربية المعاصرة"،مجلة: فقه اللسان، المغرب، ع1/ 2016م.
• وضع اللغة العربية في عصر العولمة، مجلة المجمع العلمي الأردني، عمّان، 2011م (المؤتمر 29 للمجمع).
• نحو خطة لإنجاز القاموس العربي التاريخي، مجلة: اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب في العالم العربي، الرباط ع74/ 2014م.
• كلمة مصطلح بين الصواب والخطإ، مجلة: اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب في العالم العربي، الرباط، ع48/ 1999م.
• اللفظُ ومستواه الصوابي من خلال مُوطِّئة الفصيح لابن الطيب الشرقي(الفاسي)، مجلة: اللسان العربي، 29/ 1987م.
• مستقبل اللغة العربية بين أيدي أصحابها، مجلة: الإسلام اليوم، منظمة الإيسيسكو، الرباط، ع33/ 2016م.
•التعدد اللساني: سياقه وشروطه وقضاياه، مجلة: الإسلام اليوم، منظمة الإيسيكو، الرباط، ع32/ 2016م.
• اللغة العربية وإصلاح التعليم ولغة التدريس، مجلة: عالم التربية، المغرب،ع26/ 2016م.
• في ضبط ابن سيدة، مجلة : المناهل (المغرب) ع35/ 1986م.
•لمحة عن المصادر العربية القديمة لدراسة الصوت،مجلة: المناهل(المغرب) ع 28/ 1983م.
• كتاب السماء والعالم لمحمد بن أبَان (دراسة ونص)، مجلة: المناهل(المغرب) ع9/ 1977م.
• كتاب استدراك الغلَط للزُّبيدي (دراسة وتحقيق المقدمة)، مجلة المناهل(المغرب) ع8/ 1977م.
• القاضي عياض اللغوي، مجلة المناهل (المغرب) ن ع 19/ 1980م.
• حول تأثير القالي في الدراسات اللغوية والأدبية بالأندلس، مجلة كلية الآداب بفاس، ع1/ 1978م.
• المعجم العربي بين التطور والجمود، مجلة: الموقف (المغرب)، ع 1 ـ 2/ 1987م

• الأبعاد الستة للتعريب، مجلة الموقف (المغرب) ع3/ 1978م
ثانيا: في الثقافة والأدب :
أ ـ كتب ومجموعات شعرية:
•قراءات في أدب الصباغ 1977.
•ديوان علال الفاسي ـ تحقيق ـ ج1 (1984)
•نحو سياسة ثقافية جديدة ـ منشورات عكاظ ـ الرباط 1988
•التعريف بابن الطيب الشرقي ـ الرباط 1990
•شعر ابن الطيب الشرقي (الفاسي) (جمع وتحقيق)، منشورات البوكيلي، القنيطرة (المغرب) 1996م.
• في الثقافة والهوية، القنيطرة ، 1996.
•رسالة في التعريف بالمصطفى التورودي:من أعلام الثقافة العربية الإسلامية بالغرب الإفريقي في القرن الثالث عشر الهجري تحقيق وتقديم ـ منشورات معهد الدراسات الإفريقية ـ الرباط 2003 .
• أعلام من المغرب والمشرق (علال الفاسي) تحقيق ـ الرباط 2008.
• التيارات الإيديولوجية في العالم العربي لعلال الفاسي (إعداد وتحقيق) 2007م.
• مذكرات يَمَنية(رحلة) نشرت كاملة في حلقات بجريدة (العلم) سنة 1981
• الموت في قرية رمادية(شعر)، الرباط، (1980)
• لحظة أخرى(شعر)، القنيطرة (المغرب) (1995)
ب: مقالات وبحوث نشرت في مجلات ودوريات محكّمة:
•حول آثار ابن رشيق القيرواني، مجلة المناهل(المغرب) ع3/ 1975م.
•الثقافة والعولمة ومستقبل التعليم الإسلامي، مجلة: حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر، ع7/ 2001م.
•ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، مجلة: الموقف، ع 7/ 1988م.
•أصداء الشيخ عبد الحميد بن باديس بالمغرب، مجلة: الموقف، ع5ـو6/ 1988م.
• مشروع البهبيتي بين تأكيد الهوية وإعادة كتابة تاريخ الحضارة، مجلة: بحوث، كلية الآداب (المحمدية ـ المغرب) ع6/ 1995م.
• ابن الطيّب الشرقي مؤرخاً، مجلة المناهل(المغرب) ع36/ 1987م.
• دور الجامعات الإسلامية في تَجلية صورة الإسلام وتنمية ثقافة التعايُش والحوار، مجلة: التاريخ العربي، ع41/ 2007م.
ج ـ كتب أدبية وثقافيةجماعية شارك في تأليفها :
• محمد الصباغ بأقلام النقاد والأدباء، دار الثقافة، الدار البيضاء 1980م.
• الهوية الثقافية للمغرب، منشورات العلَم، الرباط 1987م.
قيد الطبع :
القاموسية العربية الحديثة بين تنمية الفصحى وتحديث القاموس وتنمية المعجم.
أعمال مرقونة :
•في معركة اللغة والثقافة والتعليم.
• ألفاظ حضارية من القرن السادس الهجري من خلال نزهة المشتاق في اختراق الآفاق.
• ألفاظ حضارية من القرن السابع الهجري من خلال آثار البلاد للقزويني

• آراء ومواقف: في اللغة والثقافة وقضايا المجتمع.
• تذكرة لغوية.

الأستاذ المكرّم، ترحّب بكم هيئة تحرير مجلة "مصطلحيات"، وتشكركم على قبول دعوة إجراء هذا الحوار.

س1- يجري في هذه السنوات جدال حادّ في الأقطار العربية -ومن ضمنها المغرب - بخصوص الازدواجية اللغوية والتعدّد اللغوي بين من يستقبل بصدر رحب ودون روية لغة (أو لغات) الآخر باعتبار أنها الوسيلة المثلى للحاق بركب التقدّم، ومن ينسب لتداول اللغات الأجنبية بمنابرنا العلمية وواقعنا اليومي أسباب تراجُع العربية في المحافل الدولية. ما موقفكم من هذه الصيحات المتعالية في غياب تخطيط لغوي ناجع؟ وما السبيل لرقيّ العربية في صراعها مع اللغات الرائدة؟

ج : ربما تقصد ب(الازدواجية) المقابل العربي لكلمة bilinguisme / bilingualism، حيث تكون هناك لغة وبجانبها لغة أخرى وطنية أو أجنبية، وهذا أسمّيه (ثُنائية)، أما الازدواجية فأفضل أن نستعملها في مقابل المصطلح الأجنبي: diglossia / diglossie حيث تكون هناك لغة وطنية في مقابل لهجة من لهجاتها .على كل حال هذا نموذج من الخلاف في استعمال المصطلحات بين الباحثين في العالم العربي حتى داخل القطر الواحد أحيانًا، وهو ناتج عن أسباب كثيرة من أهمها عدم التنسيق. لكن توحيد المصطلح في النهاية سوف يفرض نفسه تلقائيا وإن احتاج الأمر إلى بعض الوقت.

ولنعد إلى سؤالك حول المواقف المتباينة من استعمال اللغات الأجنبية والتعدد اللغوي في العالم العربي. وأريد أن أركز في الجواب على ثلاث نقط: 1) الموقف من اللغات الأجنبية عموماً، 2) الموقف من التعدد اللغوي. 3) الموقف من الثنائية (bilingualism / bilinguisme).

أما عن الموقف من اللغات الأجنبية عموما فلا شك أن هناك التباساً يجب رفعُه. فلا أحد في الحقيقة يقف في العالم العربي ولا في المغرب بطبيعة الحال، ضد تعلّم اللغات الأجنبية، بل الكل مقتنِع بأهمية اكتساب اللغات وجدواها. لكن هناك سؤال أساسي وهو: كيف يكون تعامُلنا مع هذه اللغات الأجنبية؟ وهذا السؤال الكبير يتفرّع إلى أسئلة أخرى من قبيل: متى ينبغي البدءُ في تعليم اللغات الأجنبية لأطفالنا في المدارس العمومية؟ ومتى ينبغي استعمالُها في تلقين العلوم ومتى لا ينبغي؟ وكيف نستعمل اللغات الأجنبية من غير أن يؤدي ذلك إلى طمس لغتنا وتهميشها والتفريط فيها؟ وما هي اللغة الأجنبية الأجدى والأنفع لنا ... الخ. والجواب عن هذه الأسئلة هو الذي يختلف حوله الناسُ.

فجواب رجال التربية حول السؤال الأول مثلاً يكون في الغالب بضرورة تخصيص المراحل الأولى من التعليم المدرسي للانغماس في اللغة الوطنية المشتركة ولغة الأمة، وبعد ذلك، أي حوالي السن الثامنة، يبدأ في الاستئناس بتعلم اللغة الأجنبية الأولى الأكثر مردودية ونفعاً للبلاد والمتعلم معا، ثم بعد ذلك، ننتقل بالطفل إلى الاستئناس باللغة الأجنبية الثانية، مع الاستمرار في تقوية لغته الوطنية. ولكنك سوف تجد آخرين ممن في نفوسهم أهواء، لا يقيمون لهذا الرأي أي اعتبار، فتكون النتيجة أولا: أن الطفل ينشأ وهو يستعمل خليطًا مشوّهاً من اللغات وليست له القدرة على التحكم في أية

واحدة منها. والنتيجة ثانيا: أنه قد أضاع لغتَه الوطنية بين شتات من اللغات، فهي كلها عنده سواء. أما عاطفتُه نحو لغته الأصلية فتضعف ثم تتلاشى مع الوقت.

والجواب عن السؤال الثاني يختلف فيه الناسُ أيضًا لأسباب كثيرة. والرأي الذي ندعُمه نحن بقوة هو أن اللغة الوطنية المشتركة، وهي العربية في حالة المغرب وبلدان العالم العربي، يجب أن تُستعمل في تلقين كافة العلوم والفنون عبر كل أسلاك التعليم ومراحله. ولا نلجأ لاستعمال لغة أجنبية في تلقين مادة أو جزء من مادة إلا في حالة الضرورة القصوى ولمرحلة معينة محددة ومخطَّط لها. ولا عبرة بما يشاع خطأ عن قصور العربية وافتقارها إلى المصطلحات الكافية وغير ذلك من الكلام الذي لا أساس له. وهناك ضروراتٌ كثيرة تدعونا لاستعمال العربية في تعليم كل المواد العلمية وغير العلمية، أولها أن لغتنا العربية لا يمكن أن تنمو وتتطور ويغتني معجمُها وتتراكم مصطلحاتُها وتشيع إلا بتطويعها وإقحامها في كل المجالات دون تردد، لكن بشيء من التدرّج المعقول والتخطيط المحكَم. ومنها أن المعارف على اختلافها يسهل فهمُها وهضمُها وتمثُّلها باللغة الوطنية أكثر من أية لغة أجنبية. وهذا معناه أن تعميم المعرفة وإشاعتها على أوسع نطاق لا يمكن أن يتما بدون استعمال اللغة الوطنية. وتعميم المعرفة معناه تكوين مجتمع المعرفة الذي يعتبره خبراءُ التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشرطَ الأساسي في الانتقال إلى مرحلة الإقلاع والتنمية الشاملة على كل مستويات. ولذلك فإن الأمم لا يمكن أن ننهض بغير لغاتها.

أما عن الثنائية bilingualism / bilinguisme التي تعني استخدام لغتين اثنتين تكون إحداهما وطنية وأخرى أجنبية في كل مجالات الحياة بما فيها الإدارة والتعليم والبنوك والشركات والحياة العامة، فلا أرى لذلك من معنى في مجتمعاتنا العربية في هذه المرحلة إلا في حدود ضيقة جدا. فما الداعي لكي تستعمل الدولة وأجهزتُها الإدارية المختلفة لغتين (أجنبية وطنية) في مخاطبة مواطنيها ومراسلتهم مع أن الجميع يعرف لغتَه الوطنية أو من المفروض أنه يعرف بالضرورة؟ والذي أوجد هذا النوع من الثنائية في دولنا ومجتمعاتنا في الأصل هو الاحتلال الأجنبي لأنه كان مضطرًا لذلك. فهو لا يتكلم لغتنا ونحن لا نتكلم لغتَه، فكان لا بد من استخدام لغتين: لغة المحتل ولغة المواطن. وحسب مخططاته فإن حالة الثنائية لم تكن إلا مرحلة أو عتبة يثب منها إلى مرحلة الأحادية التي تُفرَض فيها اللغة الأجنبيةُ وحدها. أما وقد خرج الاستعمار وغادر الأرض التي كان يحتلها على الأقل، فما الحاجة لكي نتفاهم فيما بيننا بلغتين ونحن قادرون أصلا على التفاهم فيما بيننا بلغتنا الموحَّدة؟ نعم، في بعض القطاعات الموغلة في التقنية، وفي بعض التخصصات العلمية الدقيقة أيضا قد نحتاج إلى استعمال لغة أجنبية بجانب لغتنا العربية. وهذا يجب أن يكون لمرحلة معيّنة ومحدودة إلى أن تتقوى لغتُنا وتتمكن من الاستقلال بنفسها. كما قد نضطر لاستعمال اللغتين في بعض الحالات الأخرى كإبرام العقود والاتفاقيات مع شركات أو دول أجنبية، وفي المراسلات معها .. الخ. وهذه حالات عادية لا كلام فيها. ولذلك أنا أسمي هذه الثنائية التي تلزمُنا بها دولُنا ونحن في غير حاجة إليها بـ«الثنائية الخارجية المفروضة». وهي غير الثنائية الطبيعية أو التلقائية الناتجة عن استعمال لغتين وطنيتين (العربية والأمازيغية مثلا) تُمليها طبيعة التكوين السكاني واللغوي والثقافي للبلد الذي توجد فيه، وليست مفروضة من قوى خارجية، أو نتيجة استلاب ثقافي وغزو لغوي أجنبي كالحال مع الفرنسية أو

الإنجليزية. ولا شك أنكم تعرفون أن استمرار الثنائية الخارجية المفروضة فيه تهديد للغة الوطنية ومزاحمة وتهميش وتضييق عليها، بالإضافة إلى أضرار أخرى. منها بذل جهد ووقت مضاعفين في إتقان لغتين يؤديان نفس المهمة، وتبديد أموال طائلة في الإنفاق على تعميم استعمال لغة أجنبية في كل الإدارات والمرافق العامة والخاصة. وأحيانا يراد تسويق فكرة الابقاء على هذا النوع من الثنائية بحجة الانفتاح وحاجة العصر إلى التنوع والتعدد ونحو ذلك. ولكن فهمهم لجدوى التعدد فهم خاطئ. إذ يجب أن نفرق بين التعدد لدى الدولة والتعدد لدى الأفراد. فالأفراد يُنصَح لهم بتعلم الأنفع لهم من اللغات الأجنبية لفوائدها الكثيرة التي تعود عليهم، أما الدولة فالمطلوب فيها أن تقتصد ما أمكن في استعمال اللغات. فهي ليست مضطرة إلى التعامل في دواليبها الإدارية وكافة مؤسساتها بلغات عدة، وإنما هي ملزَمة بالتعامل مع مواطنيها بلغتهم فقط. التعدد يصلح للفرد لا للدولة. وهذا قد وضحته بشيء من التفصيل في كتابي: لغة الأمة ولغة الأم.

س2- تـُـدَرَّس المصطلحيّة - كعلم مستقل بذاته- بمناهجها ونظرياتها في جامعات الدول المتقدمة منذ أزيد من أربعة عقود (يكفي أن نشير إلى التجربة الكندية في هذا المجال)، وقد دعا العالم الروسي "كيفورك ميناجيان" منذ ستينات القرن الماضي إلى الاهتمام بالمصطلحية العربية بمنابر مؤسسات التعليم العالي العربية لما لهذا العلم من فائدة في تحقيق نهضة علمية منشودة، ما هي في نظركم الأسباب التي جعلت الدرس المصطلحي مغيبا بغالبية الجامعات العربية؟

ج: لا أدري بالضبط ما هي الاعتبارات الخاصة بالجامعات العربية. وقد تكون لكل جامعة اعتباراتُها الخاصة. ربما تعتبر أن المسألة ليست ملحة بالقدر الذي تراه أنت، أو لعدم وجود طلب قوي على هذا التخصص، أو عدم وجود استعداد لدى الأساتذة لتدريس هذه المادة. وقد يقترح بعضُهم إدراجها تحت مادة اللسانيات أو مادة المعجم مثلا. ومع ذلك هناك إمكانية لإنشاء مراكز أو مختبرات بحث خاصة في المصطلح ببعض الكليات والمعاهد العليا، كما هو الشأن في المركز الموجود بفاس، ثم هناك جهات أخرى تولي المصطلح عناية كبرى مثل معهد الأبحاث للتعريب، ومعهد تنسيق التعريب، كما تعلم. وهذه المجلة المتخصصة التي تشرفون عليها تعتبر في حد ذاتها مركزا من هذه المراكز المصطلحية. على كل حال الأمر كله يتوقف على درجة التحسيس بأهمية الموضوع بالنسبة للغتنا العربية.

س3- سبق للباحث التونسي المرحوم الدكتور رشاد الحمزاوي أن اشتكى من تعذّر استثمار معطيات البنوك المصطلحية العربية (بالمغرب والسعودية والأردن..) ما عدا مضامين بنك مكتب تنسيق التعريب المتوفرة في صفحات الشابكة بموقع المكتب، وهو يحتاج للكثير من العمل لكي يرقى إلى مصاف البنوك المصطلحية بالدول المتقدمة، ترى ما هي في نظركم العلل التي يتذرّع بها المشرفون على هذه البنوك لتبرير عدم تعميم منجزاتهم على جمهور أهل الاختصاص؟

ج: مرة أخرى لا أعرف بالضبط أسباب ذلك. قد يكون المبرر بكل بساطة أن هذه التي تسميها (بنوك معطيات) غير جاهزة للنشر والتعميم، أو غير مكتملة، أو يحتاج نشرها وتعميمها إلى منصات وبرامج رقمية غير متوفرة وإلى أمور لوجستية معيّنة. والمفروض

أن أهم وظائف المؤسسات العلمية العمومية وظيفة تعميم المعرفة ونشرها والعمل على لفت الأنظار إليها لكي يقبل الناس على استخدامها والاستفادة منها.

س4- يعلم الباحث المتخصص في قضايا اللغة والمعجم أن بعض الشعوب أنجزت أكثر من معجم تاريخي للغاتها، من هؤلاء اليهود الذين يتوفرون على المعجم التاريخي الذي أنجزه "أليعازر بن يهودا" بعشرينيات القرن الماضي، ثم المعجم التاريخي الذي سهرت أكاديمية اللغة العبرية على بنائه منذ منتصف القرن الماضي، أليس من الضروري أن تتضافر جهود العرب والمسلمين لبلورة مشروع الأمة الذي لا زال حلما يراود الغيورين على لغة القرآن الكريم، بدل أن تعمل جهات متعددة (ك: اتحاد المجامع اللغوية العربية، الجمعية العربية التونسية، معهد الدراسات المصطلحية بفاس، إضافة إلى مشروع الدوحة الذي انطلقت أعماله منذ سنتين، ومشروع "الذخيرة اللغوية الذي يشرف عليه الدكتور الحاج صالح والذي تبنته جامعة الدول العربية) لإنجاز معاجم تاريخية متعددة للغة واحدة؟

ج : الحاجة إلى ظهور قاموس تأريخي للغة العربية ماسة وضرورية لا شك في ذلك، والتفكير فيه بدأ منذ النصف الأول من القرن الماضي كما تعلم، وتمثّلت المحاولة الأولى لإنجازه في القسم الصغير الذي وضعه فيشر. وإذا كانت هناك اليوم محاولات عدة أو مشاريع مختلفة بدأت تظهر هنا أو هناك من البلاد العربية، فهذا دليل على انتشار الوعي بأهمية الموضوع وزيادة الرغبة في تحقيقه. وتعدد المحاولات يفيد الموضوع ولا يضره في شيء. على أن مشروع معجم الدوحة التاريخي لم يعد مجرد مشروع بل لقد أنجزت المرحلة الأولى منه بالكامل ونشرت منذ شهر دجنبر 2018، والاطلاع عليها أصبح متاحًا لكل باحث عبر بوابته الخاصة بالشابكة. وهذه المرحلة وحدها تحتوي على حوالي 100 ألف مدخل. والمرحلة الثانية منه ماضية في طريقها أيضا بخطى ثابتة.

س5- وُضع إطارٌ زمنيّ دقيق لإنجاز "معجم الدوحة التاريخي للغة العربية" يتضمن خمس مراحل تبتدئ بالقرن الخامس قبل الهجرة النبوية وتنتهي بنهاية القرن العشرين الميلادي وحُدِّدت مدة ثلاثة أعوام للانتهاء من كل مرحلة، ما هي في نظركم المرحلة الأصعب ضمن كل هذه المراحل بما تتطلبه من استخلاص المدوّنة ورقمنتها ومعالجتها ومراجعتها؟

ج: ربما كانت المرحلة الأولى هي الأصعب لأنها مرحلة تأسيسية في كل شيء، في اختيار منهج العمل والخطة العامة بكل تفاصيلها الدقيقة، ووضع معايير المعالجة وإرسائها بعد اختبارها وتجريبها. وانتقاء الخبراء والمعالجين من كل أنحاء الوطن العربي وتدريبهم وتكوينهم على مراحل. وهذا وحده استغرق أوقاتًا طويلة من الإعداد والنقاش والتجريب والمراجعات حتى استقرت الأمور على منهج واضح وطريق لاحِب. ثم لا تنس أن القسم الأكبر من الألفاظ الأساسية للغة العربية هو الذي تحتوي عليه المرحلة الأولى (من أقدم عصور العربية إلى القرن الثامن الميلادي)، كل ما استجد بعد ذلك هو اشتقاقات وتوليدات في الصيغ اللفظية أو الدلالات، بما فيها مصطلحات العلوم. فالعمل في المراحل التالية ستتجلى أهميتُه في ملاحقة التطور اللفظي والدلالي للمعجم العربي الذي وُضع أساسُه في المرحلة السابقة.

س6- استفادت تجارب إنجاز المعجم التاريخية باللغات الغربية من تقدّم الدراسات اللسانية بتنوع مناهجها التاريخية والإيتيمولوجية (التأثيلية) والمقارنة، فهل بلغت الدراسات اللسانية العربية المرتبطة بالمعجمية والصناعات المعجمية درجة من النضج تؤهلها لدعم مشروع بناء المعجم التاريخي للغة العربية؟

ج : تجربة العربية في صناعة القواميس ليست هيّنة، فهي من أكبر وأعظم تجارب الأمم واللغات الحية ، بل هي أعظمها على الإطلاق في العصر الوسيط. ورغم أن علماء العربية قديما لم يولوا مسألة التأثيل والبحث في أصول الكلمات عناية كبيرة، مقارنة مع الجهود التي بُذلت في أوروبا خلال القرون الثلاثة أو الأربعة الأخيرة، فإن ذلك ليس له تأثير سلبي كبير ولا يقدح في مجمل ما صنعوه. لأن التأريخ المعجمي لا يقوم على عنصر التأثيل وحده ولكن على عدة عناصر أخرى. ولا حاجة لكي ندخل في نقاش طويل حول الأسباب التي جعلت علماء العربية لا ينشغلون كثيراً بموضوع التأثيل حسب مفهومه الحديث قدر اهتمام اللغات الأوروبية الحديثة به، وإنما يكفي أن نقول في عجالة إن أحد أهم الأسباب التي دفعت الغربيين في القرون القليلة الماضية إلى التركيز على موضوع التأثيل أكثر من غيره، راجع إلى أن لغاتهم الناشئة حديثا أغلبُها متفرّع عن اللاتينية، واللاتينية أخذت الكثير من أصولها من اليونانية، فكان لا بد لعلمائهم من ربط صلة كل لفظ بهاتين اللغتين الأصليتين لفهمها فهما صحيحا، ولا سيما أن اللاتينية والإغريقية ظلتا تُدرّسان في أهم مراحل التعليم بأوروبا إلى وقت قريب. أضف إلى ذلك أن هذه اللغات الناشئة، من فرنسية وإسبانية وإيطالية وبرتغالية (وأيضا الإنجليزية وإن لم تكن متفرعة عن اللاتينية) أخذت كثيرا من ألفاظها من أخواتها الأوربيات، فهي بمثابة لهجات تشترك فيما بينها في أغلبية الأصول. إضافة إلى ما أخذته من لغات أخرى شرقية كالعربية والفارسية والتركية واللغات الآسيوية والإفريقية. أما العربية، فرغم ما فيها من معرّب ودخيل، لم تصل في كثرة ما استعارته من لغات أقدم منها أو معاصرة لها، إلى درجة ما نجده في اللغات الأوروبية الحديثة. ظاهرة الاستعارة من اللغات الأخرى لافتة بشكل كبير جدا في اللغات الأوروبية. على أن التراث العربي عرف عدة محاولات وتجارب في دراسة أصول الكلمات وأثولها مثل كتب الدخيل والمعرّب التي بدأت سلستُها في الظهور منذ كتاب المعرّب للجواليقي، وكذلك كتاب مقاييس اللغة لابن فارس الذي بحث في الأصول الدلالية للمعجم العربي بطريقة متميزة.

س7- لجأ المستشرق الهولندي "رينهارت دوزي" (Reinhart Dozy) [1820-1883] منذ ما يقرب من مائتي عام إلى إدراج الألفاظ العامية في تكملته للمعاجم العربية، بحيث اعتبر كلمات عامية أندلسية وشامية وأخرى أمازيغية وأسماء النباتات الطبية جزءا لا يتجزأ من العربية، هل بإمكان هذه الألفاظ أن تسهم في إثراء العربية الفصحى؟ وما السبيل إلى تأصيلها؟ وما موقفكم من موضوع إدراج "المولّدات" (Néologismes) و"أسماء الأعلام" (Les Noms propres) و"اصطلاحات العلوم والفنون والتقنيات" بمتن المعجم التاريخي للغة العربية؟

ج ـ هذا سؤال مركب يشتمل على عدة أسئلة وموضوعات.

أما ما ذكره دوزي في مستدركه على القواميس العربية من ألفاظ فيها العامي والدخيل معتبرا إياها جزءا من العربية، فالواقع أنه كذلك. أي أن هذا النوع من الألفاظ قد استُعمل بالفعل في النصوص العربية المكتوبة، ودوزي لم ينقل إلا مما وجده مكتوبا

في كتب ونصوص ورسائل وقواميس مختلفة، ولم ينقل شيئا من العربية الشفوية. والعربية في مفهومها الواسع تشمل الفصيح وغير الفصيح، الخاص والعام.

أما إدراجُ هذه الألفاظ العامية والدخيلة التي جمعها دوزي وأمثالُه ضمن القاموس التاريخي للغة العربية، فأعتقد أن مؤرخ اللغة عليه أن لا يهمل أي نوع من الألفاظ بغض النظر عن مستوى استعماله. فالمفروض فيه أن يصف الواقع اللغوي كما هو ولا يحق له أن يغير فيه شيئا، ولا يجوز أن ينصب نفسه قاضيا يصدر الأحكام بالقبول أو الرفض لذا اللفظ أو ذاك بهذه الحجة أو تلك. كل ما هنالك أن عليه أن له الحق في تحديد المنهج والخطة اللذين يتبعهما في عمله. وضمن ذلك يمكن أن يحدد إطار بحثه في اللغة المكتوبة دون الشفوية، أو العكس، أو يجمع بينهما. كما يمكن أن يحصر تاريخه في نوع خاص من الألفاظ كأن يختار الألفاظ العامة ويترك الألفاظ الاصطلاحية أو الموغلة في التخصص. ويمكن له أن يُقصي من عمله ألفاظ الأعلام البشرية والجغرافية، أو يختار الإطار الزمني أو الجغرافي لعمله... إلى غير ذلك من الإمكانيات الكثيرة. والمحاولات الحديثة في مجال التأريخ المعجمي العربي منذ محاولة مجمع القاهرة إلى مشروع الدوحة، اتفقت على اختيار العربية المكتوبة دون الشفوية، على الأقل في التجربة الأولى، للصعوبات الكثيرة التي تواجه مؤرخي اللهجات العربية الشفوية عبر مختلف عصورها، وقلة المصادر والنصوص. كما اتفقت على أن يشمل التاريخ كل مراحل العربية من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر. واتفقت ثالثا على إخراج أسماء الأعلام البشرية والجغرافية. أما المصطلحات العلمية وألفاظ العلوم والفنون فهي على نوعين: النوع الأول يشمل كل الألفاظ والاصطلاحات القديمة إلى حدود القرن التاسع عشر، وهذا كله سيتم إدراجه في خطة التأريخ الموضوعة لأن عدده قليل والحاجة إلى التأريخ له ضرورية وملحة بحكم أنه يمثل التطور العلمي الذي عرفته الحضارة العربية الإسلامية في العصور السابقة. أما النوع الثاني وهو المتعلق بالمصطلحات الحديثة، فلم يُتخذ بشأنه قرار موحّد، ولكن الرأي عندي أنه من الصعب التأريخ لكل المصطلحات العلمية والتقنية الحديثة والمعاصرة لسببين على الأقل: الأول كثرتُها العددية وتفرُّعها الكبير، فهي تعدُّ في مجموعها بالآلاف. والثاني أن عددا كبيراً منها ما يزال في مرحلة التجريب، لم يستقرّ استعمالُها على وضع معين وبشكل ثابت يشجع على التأريخ لها. ولذلك لا بد في رأيي من العمل بمنهج الانتقاء، فيقتصر على ما شاع منها في نصوص الكتاب والباحثين، ويترك غيرُ ذلك ليُستكمَل لاحقا، أو أن تهيأ للتأريخ له قواميس متخصصة.

س8- نفتقد في التراث العربي الإسلامي الثريّ بنتاجاته المتنوعة الحقول المعرفية إلى تصنيف القواميس التاريخية بسبب عدم اهتمام الأسلاف برصد تطور معاني الألفاظ، وسيادة البعد المعياري في تقنين تدوينها، غير أن التسميات الناعتة للتجارب القاموسية في التراث العربي لا تخلو من تفاخُر في ادعاء الإحاطة، كما يتجلى من عناوين: "القاموس المحيط" (للفيروزآبادي)، و"العُباب الزاخر" للصغاني، و"البارع في اللغة" (لأبي علي القالي)، و"المحيط في اللغة" (للصاحب بن عباد)، و"المحكم والمحيط الأعظم" (لابن سيده) (وغيرها كثير)؛ فهل نعتبر هذه الإحاطة إن تحققت على أرض الواقع إحاطة تزامنية غير تعاقبية؟

ج : لم يحظ موضوعُ التأريخ اللغوي بالمفهوم العلمي الذي نعرفه اليوم، بعناية كبيرة من لدن علماء العربية في القديم، فهو موضوعٌ جديد على البحث المعجمي، وحتى

بالنسبة للغربيّين أنفسهم فهو موضوع جديد عليهم. فالمحاولة الأولى في الغرب بدأت سنة 1838م عند الألمان، وتبعهم بعد ذلك الفرنسيون ثم الإنجليز وغيرُهم. وحتى قاموس أكسفورد الذي يعد من أهم نماذج هذا التاريخ لم يكتمل صدوره إلا سنة 1928م. لكن كانت هنالك إرهاصاتٌ وبوادر لها قيمتُها وأهميّتُها في تاريخ العربية وقد أشرتُ لبعضها في جواب سابق. وأسباب عدم إيلاء العناية الكافية لهذا النوع من القواميس كثيرة لعل أهمها أن فكرة دراسة اللغة بمنهج تاريخي تطوري في حد ذاتها لم تبرز في تاريخ العلم الا عند ظهور علم اللغة التطوري في القرن التاسع عشر. أما دعوى بعض القواميس القديمة الإحاطة والشمول، فكان فيها نوع من المبالغة بطبيعة الحال، إلا أن المقصود بتلك الدعوى هو محاولة الإحاطة بالمستعمل من لغة العرب داخل إطار معايير الفصاحة القديمة لا خارجها، أي محاولة جمع ما أمكن لهم من الألفاظ التي ثبت استخدامها قبل نهاية عصر الاحتجاج، ولم يدّعوا الإحاطة بما حدثَ بعد ذلك من مولّدات ومجازات واصطلاحات واستعمالات مختلفة. فلذلك نحن نأخذ على قواميسنا القديمة (وأقصد القواميس العامة لا المتخصصة) أنها لم تتابع تطور العربية في مختلف مراحلها بعد القرن الرابع الهجري إلا بشكل طفيف جدا. وفضلا عن ذلك فإن هذه القواميس على اختلاف أنواعها ومدارسها لم يكن بينها قاموس تاريخي. وهذا راجع كما قلت إلى أن فكرة التأريخ لتطور اللغة لم تكن واردة في أذهان القاموسية القديمة العربية والغربية على السواء. بل إن لجوء القاموسية العربية إلى المنهج المعياري الصفائي الذي تحكّمت فيه معايير الفصاحة القديمة كان في أصله متعارضًا مع فكرة التطور اللغوي وتطور العربية بصفة خاصة، لأن مفهوم التطور كان يأتي في أذهان الناس مقرونًا بمفهوم الفساد وضياع الفصحى وفي ذلك أخطار من الناحية الدينية والقومية والثقافية، ولذلك لم يكن من السهل تصور وجود قاموس يؤرخ لتطور اللغة في ظل سيادة فكر لغوي لا يعترف بالتطور أصلا. ولكن الفكر العربي والإنساني بصفة عامة تغيّر، وأصبح بالإمكان الإيمان بسنة التطور في اللغة باعتبارها كائنًا حيًا، دون الخوف على فساد العربية. وهذا موضوع سبق لي أن ناقشته في كتابي : قضايا المعجم العربي في كتابات ابن الطيب الشرقي.

س9- على أثر شيوع الدراسات الإيتيمولوجية وبروز فائدتها القصوى في الصناعة القاموسية (لا سيما في تصنيف القاموس التاريخي) برزت عدة اصطلاحات عربية مكافئة لمصطلح "Etymology"، أبرزها: "الترسيس"، و"التأثيل" و"التأصيل"، هل تعتبرون هاته المكافئات مترادفة تحيل على مفهوم واحد؟ أم ثمة فروقات دلالية بينها؟

ج - هذه المصطلحات ليست كلها متساوية القيمة في الدلالة على العلم الذي يبحث في أصول الكلمات واشتقاقاها ونسَبها العائلي ويعرف في الغرب منذ عهد اليونان بالإيتيمولوجيا (Etymology / etymologie). وحين عرفه فقهاء العربية المحدثون أصبحوا يطلقون عليه في البداية علم أصول الكلمات، أو التأصيل، أو علم الاشتقاق أحيانا (مثلما فعل مترجمو كتاب:اللغة لفندريس). لكن المرحوم عبد الحق فاضل وهو عراقي عاش فترة طويلة بالمغرب، أطلق عليه في ستينيات القرن الماضي مصطلحا جديدا وهو : علم التأثيل حتى شاع وانتشر وغطى على ما سواه. وهذا العالم العراقي هو نفسه الذي أطلق لفظ الترسيس وأراد به نوعا خاصا من التأثيل وهو الذي يبحث في الأصول الاشتقاقية البعيدة للكلمات متتبعًا رحلتها وتطورها عبر اللغات المختلفة منذ جذرها أو ظهورها الأول في أي لغة كانت،

وهو الذي يسميه رَسًّا، إلى آخر صورة لها في لغة من اللغات. متخطيًا السلالات اللغوية المختلفة كالسلالات السامية والهندأوروبية وغيرها. فالترسيس جزء من التأثيل وليس كل التأثيل. وأنا شخصيًا حاولت في بحوثي الأخيرة أن أضيف تدقيقًا آخر فقسّمت التأثيل إلى عام وخاص. فالعام هو الذي يبحث في كل ما يتعلق بأصول الكلمات وتطورها لفظًا ومعنى بغض النظر عما هو بعيد أو قريب من أصولها، وعما هو خارجي (من لغات أخرى) أو داخلي (مشتق من اللغة المدروسة نفسها). أما الخاص فهو قسمان: أولهما يبحث في الأصول البعيدة للكلمات وهو الترسيس، والثاني يبحث في الأصول الاشتقاقية الداخلية للكلمات وأسميه التأصيل. وبذلك نكون قد استثمرنا هذه المصطلحات الثلاثة كلها (التأثيل، الترسيس، التأصيل) وأعدنا توظيفها بشكل جيد بتخصيص كل واحد منها بدلالة معيّنة ودقيقة.

س10- أشرتم في دراساتكم التأثيلية إلى أنّ مصادر البحث عن تاريخ الألفاظ العربية لا يقتصر على الموارد العربية وإنما يتخطاه إلى الموارد الغربية، بل تعتبر الأخيرة المصدر الأوحد للكشف عن أصالة بعض الألفاظ التي هاجرت واستقرّت ببلاد المهجر، ثم عادت دخيلة إلى أوطانها، مثلما هو حال "Tariffe" المنقولة إلى العربية بصيغة "تعريفة"، فكيف تبرّرون غياب الإشارة إليها في المصادر العربية؟

ج: في دراستي للألفاظ الفرنسية ذات الأصول العربية وضّحت كيف أن هذا النوع من الدراسة التأثيلية يفيدنا جدا في التأريخ لمعجمنا العربي بصفة عامة والألفاظ المهاجرة منه بصفة خاصة. فمن ناحية أولى نعتبر أن التأريخ لألفاظ العربية لا ينبغي أن يتوقف عند حدود ما استُعمِل منها في البيئة العربية وحدها، وإنما ينبغي أن يتتبع مسيرة ما هاجرَ منها وانتقلَ للعيش في بيئات أخرى، ولاسيما أن بعضها يهاجر لمدة زمنية محددة في صور ودلالة معينتين أيضا، ثم لا يلبث أن يعود إلى وطنه العربية بصور ومعان مغايرة. فتتبّع رحلة الكلمات وهي تنتقل من لغة إلى أخرى ومن محطة إلى محطات مختلفة، جزء لا يتجزأ من التأريخ لمعجمنا العام لا يمكن أن نغفله أو نهمله. ومن ناحية أخرى، إن التأريخ لهذا النوع من الألفاظ يمدنا في أحيان كثيرة بمعلومات قد لا نجدها في مصادرنا ووثائقنا وقواميسنا العربية وإنما نجدها في القواميس التاريخية الأجنبية. مثال ذلك الكلمة التي ذكرتها في سؤالك. فقد ورد لفظ تعرفة / تعريف مثلا في المعجم الوسيط بشكل يوحي بأنها من وضع المجمع اللغوي المصري، في حين أن التنقيب عن تاريخها في اللغات الأوروبية كالإيطالية والفرنسية أثبت أنها مصطلح اقتصادي تجاري عربي قديم انتقل إلى الإيطالية منذ القرن الرابع عشر الميلادي على الأقل ومنها انتقل إلى الفرنسية، وذلك يعني أن اللفظ قديم في العربية وليس حديثا كما يتوهّم. بدليل انتقاله إلى لغات أخرى منذ قرون عدة.

س11- قُمْتم في دراستكم ل "العربيات المغتربات" باختراع اصطلاح جديد في الدرس اللساني العربي، هو: "التأثيل العليل"، ترى هل يُقابل ما عُرف في الدرس اللساني الغربي: "التأثيل الشعبي" (Etymologie populaire)، وما علاقته بما تداوله التراث العربي الإسلامي تحت باب "الاشتباه في الاشتقاق" (كما ورد بكتاب "المجمل في اللغة " لأحمد بن فارس)؟ وما مخاطر هذا النوع من التأثيل على مشروع بناء قاموس تاريخي للغة العربية؟

ج: ما سميته بالتأثيل العليل في أحد بحوثي هو لجوء بعض القاموسيّين من الغربيين بصفة خاصة، إما عن قصد أو عن جهل، إلى تقديم معلومات مضلّلة للقارئ. وقد أعطيت على ذلك عدة أمثلة كأن يذكر قاموس فرنسي لفظ minaret أو sirop على سبيل المثال ويقول إنهما لفظان تركيان، والحال أنهما عربيان (منار، شَروب) انتقلا منها إلى التركية ومن التركية إلى الفرنسية. فإذا أحسنّا الظن قلنا إن هذا القاموس قصّر في عمله التأثيلي فنظر إلى الأصل القريب الذي أخذت منه الفرنسيةُ مباشرة، ولم يسأل نفسَه من أين جاء هذا اللفظُ إلى التركية، هل هو أصيل فيها أم دخيل؟ لكن قد يكون إغفال ذكر الأصل العربي للكلمة هنا مقصوداً، حتى يغمط العربية حقها. وفي الحالتين، يكون هذا النوع من التأثيل قاصراً ومقصّرًا بل مُضلّلًا ولاسيما إذا كانت وراءه نوايا خبيثة مبيّتة. ومثال آخر هو أننا نجد بعض القواميس الأوربية حين تحاول التأثيل لكلمة épinard أو Exir تقول عن الأول إنه لفظ فارسي ، وعن الثاني إنه يوناني . وهذا في ظاهره صادق، لكن في دواخله فيه تغطية على جزء من حقيقة تاريخ اللفظ . ذلك أن الفرنسية أو الإسبانية أو غيرهما من اللغات الاوروبية الحديثة لم تأخذ اللفظين من الفارسية واليونانية مباشرة، وإنما عن طريق العربية أو اللاتينية العلمية التي كانت بدورها قد أخذتهما من الكتب العربية التي تُرجِمت إليها. ومثال ثالث هو أن التوجه العام الذي يغلب على القواميس الأوربية هو أنها كلما وجدت لفظا ساميا (ونحن نسميه عروبيا جزريا) مثل : éden, manne إلا وأرجعته إلى العبرية، جاهلة أو متجاهلة أن مثل هذه الألفاظ يعبر من الرصيد المشترك بين العروبيات التي منها العربية و السريانية والعبرية وغيرها.

س12- أبرزتم في دراساتكم المعجمية أن عمليات التأثيل غالبا ما تحمل في طياتها رواسب الصراعات الدينية والثقافية بين الحضارات (لا سيما بين الحضارتين العربية والغربية)، وغالبا ما يتسرّع الباحثون العرب في تعريب اللفظ الدخيل وتناسي أصله العربي ودورته الحضارية، كما هو حال مصطلحات : "أميرال"/ "Amiral" (وأصلها: " أمير البحر")، "مغازة" / "Magasin" (وأصلها "مخزن")، "جاكيت"/ "Jaquette" (وأصلها "شِكّة")، "لوغاريتم"/ "algorithme" (وأصلها "الخوارزمي")، ما الحل الأمثل في نظركم في سياق بناء قاموس تاريخي للعربية حينما يواجه المصنف مقترحات كثيرة في تأصيل اللفظ، كتلك المرتبطة بتأثيل لفظ "Sarrasins"، هل من الضروري عرض كل المقترحات؟ أم يُستحسن الاقتصار على أرجحها تفاديا للإخلال بالقيود الكمية في تعريف المداخل القاموسية؟

ج: في حالة وجود عدة احتمالات وآراء حول الأصل الاشتقاقي لكلمة من الكلمات، على المؤرخ المؤثّل أن يبذل كل ما يستطيع ليثبت أصحها أو أقربها إلى الصحة بالحجة والدليل ما استطاع لذلك سبيلا، ويبطل ما عداها بالحجة والدليل أيضا. وهذا يحتاج إلى ثقافة واسعة ومعرفة متكاملة، وإلى التحلي بأقصى ما يمكن من الصبر والنفس الطويل والموضوعية العلمية والتجرد عن الهوى. وما الأسف ما يزال علم التأثيل عرضة لكثير من المزالق والمغامرات، لأن الذين يتعاطونه ليسوا كلهم يمتلكون الأدوات العلمية والمنهجية الضرورية. لكن في حالة عجزه عن تحقيق الأصل فلا أقل من إيراد مختلف الآراء وعرضها بكل أمانة والإحالة على أصحابها ومصادرها.

س13- ما موقفكم من ولوج تعابير إلى العربية منقولة عن لغات أجنبية، من قبيل: "لعب دورا" (To play a role)، "حجر الزاوية" (Corne stone)، "أنقذ الموقف" (To save the situation)، "المقرّ الاجتماعي" (siège social)، وغيرها كثير. هل ندوّنها بالقاموس التاريخي بوصفها تجليا من تجليات تطور العربية، أم نتحفظ إزاءها ونبحث عن بدائل فصيحة تعوضها نظرا لخطل غالبية هاته الترجمات؟

ج : سبق أن ذكرت قاعدة عامة وهي أن القاموس التأريخي ليس قاموساً معيارياً فلا يحق له أن يغفل عبارات واستعمالات من هذا النوع، بغض النظر عن كونها أصيلة في العربية أم دخيلة. هذه وجهة نظري الخاصة. ومن ناحية أخرى، لا أرى داعيًا للوقوف ضد كل العبارات المستعارة عن طريق الترجمة من لغات أجنبية كالأمثلة التي أوردتَها في سؤالك. فما العيب في أن أستعمل عبارة (حجر الزاوية) و(أنقذ الموقف) و(أطلق ساقيه للريح) و(رفع الراية البيضاء)، و (وضع الحجر الأساس)... ونحو ذلك من التعبيرات المسكوكة الحديثة التي لا يكاد يستغني عنها قارئ الجرائد والمجلات والسامع للمحطات الإذاعية والقنوات الفضائية العربية، والناطقُ بالضاد عموما في هذا العصر، ما دامت كلها تراكيب صحيحة صوتا وصياغةً وصرفا ونحوًا؟ بل أرى فيها تجديدًا وتنويعًا لأساليب العربية، بالإضافة إلى كونها تيسر سبُل الالتقاء بين اللغات والثقافات وتَنقُّل الأفكار والمفاهيم والتصورات وتجعلها مشترَكة بين الشعوب، بل إنها تيسِّر أيضا عملية الترجمة من لغة إلى أخرى. نحن نتأثر بثقافات الغير ونظرياتهم وعلومهم وتقنياتهم وسلوكهم، فما المانع من أن نتأثر بشيء من لغتهم ينفع ولا يضر؟ أنا لا أستهجن من مثل هذا التعبيرات إلا ما كان تركيبُه فاسدًا أو لاحِنًا أو جاريًا على غير قياس صحيح.

س14- أخيرا، نودّ معرفة وجهة نظركم في موضوع الأولويات المرتبطة ببناء سياسة لغوية تبوّئ العربية المكانة التي تستحقها ضمن لغات العالم العريقة في ظلّ قيود العولمة المجحفة في حق لغات العالم الثالث.

ج : اللغة العربية ليست لغة دولة لوحدها، وإنما هي ملك لأمة بأكملها مكونة من عدة ودول وشعوب يصل عدد أفرادها إلى مئات الملايين. والتخطيط لإصلاحها يجب أن تشارك فيه كل الدول العربية لكي يحقق نجاحا ملموسا وواقعيا. ولذلك فإن أول ما يجب توفّره في هذا التخطيط هو أن يصدر عن رغبة جماعية وجهود موحّدة. ثم بعد ذلك أو في موازاته يحتاج تنفيذ المخطط إلى إرادة تتجسّد في قرار سياسي موحّد أيضا. وهذا يحتاج إلى جهاز مشترَك له قدرة التنسيق وقوةُ التنفيذ والإنجاز. وهذا ما لا يمكن تصور وجوده في ظل حالة التفكّك التي نعيشها بين الدول العربية. ثم إن النهضة اللغوية لا تحتاج إلى تخطيط فحسب، بل تحتاج إلى الظروف المناسبة والمناخ الملائم. وحالة الضعف والتردّي التي تعيشها أمتُنا العربية الإسلامية لا توفُر الشرط المناسب لنجاح أي مخطَّط بالشكل المطلوب. قد تنجح بعض الإصلاحات الجزئية لسبب من الأسباب، ولكن التغيُّر الكلي الذي نطمح إليه لا يمكن أن يحدث إلا في ظل تغيّر حضاري كامل يشمل النواحي الثقافية كما النواحي الاقتصادية والسياسية.

ومهما يكن، فهناك أشياء كثيرة يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار في التخطيط للنهوض بالعربية وتنميتها وتطويرها ونشرها وتعميمها، سواء على الصعيد الوطني أم على الصعيد العربي الجماعي. نذكر من ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

ـ إصدار قوانين تحمي الفصحى وتحافظ على سلامتها وتوجب استعمالها في كل مؤسسات الدولة ومرافقها وغيرها من المجالات العامة والخاصة.

ـ جعل الفصحى إلزامية في تدريس كل المواد بمختلف أسلاك التعليم إلا في الحالات التي يتعذر فيها ذلك لأسباب واضحة ومعقولة ولفترة محددة.

ـ تخصيص المرحلة الأولى من التعليم الابتدائي للغة الوطنية المشتركة.

ـ إنشاء المؤسسات والأكاديميات والمجامع العلمية التي تسهر على تقديم الاقتراحات والتوصيات التي من شأنها تطوير العربية وتنميتها ومواكبتها بالإصلاحات الضرورية ومدها بالمصطلحات والقواميس.

ـ إحداث مؤسسات للترجمة من اللغات الأخرى لأن الترجمة أساسية في تطوير اللغة وتحديثها وتنميتها.

ـ توجيه وسائل الإعلام بأنواعها إلى حسن استخدام العربية الفصحى وتعميم استعمالها في مختلف البرامج والفعاليات.

ـ تشجيع المبادرات الرامية إلى تطوير مناهج وطرق تعليمها.

ـ توزيع وظائف على اللغات والتعبيرات المستعملة داخل البلاد وفق أهميتها وقدراتها وتجربتها والحاجة إليها، وعدم السماح للغة أجنبية بالسيطرة على المجالات الحيوية وتهميش اللغة الوطنية الأولى المشتركة.

ـ التخطيط على المدى البعيد لتقليص الهوة بين الفصحى واللهجات.

شكرا لكم، ونتمنى لأعمالكم كل التوفيق.